قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

تجليات الإعلام والاتصال في الخطاب القرآني سورة النمل من الآية 20 إلى الآية 35 أنموذجا مقاربة سيميائية

Manifestations of information and communication in the Quranic discourse Surat Al-Naml from verse 20 to verse 35 Semiotic approach

د. سلطاني فضيلة [1،*]
[1] جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر

Key words:

Information and communication

Quranic discourse

empowerment

aesthetics of reception implicit reader.

Abstract

We tried in this research addressed the idea of a worthwhile, a foundation for the idea of communication within the Quranic discourse, through its rhetorical elements, and exposure to its connotations and times, we may note that through discourse parties, the sender and the message and the recipient, we also want to establish into a matter that has been forgotten and abandoned, and that it has fallen into silence. because the Quranic discourse contains the idea of communication by defining concepts that are prominent in its folds.

We relied on this in the semiotic approach, where we dealt with the visual and non-visual patterns of the Quranic story, as this study allowed us to approach three cognitive fields, the first field is the field of linguistics in which we dealt with the semiotics of the Quranic story, and the second field is the religious field, in which we highlighted A Quranic surah, which is a surat al-Naml from verse 20 to verse 35, and with regard to the third field, it was represented in the field of communication by extracting the concepts of the communicative process from the Quranic story.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :2020/02/29

القبول : 2020/05/13

الكلمات المفتاحية:

الإعلام والاتصال

الخطاب القرآني

التمكين

جماليات التلقي

القارئ الضمني.

ملخص

حاولنا في بحثنا هذا التطرق لفكرة جديرة بالاهتمام، وهي تحليل فكرة الاتصال داخل الخطاب القرآني، من خلال عناصره البلاغية، والتعرض لدلالاته وأزمنته، وقد نلاحظ ذلك من خلال أطراف الخطاب الموجودة، كالمرسل والرسالة والمتلقي، كما نريد أن نقعّد لمسألة تعرضت للنسيان والهجران واقحمت في حيز المسكوت عنه، ذلك لأن الخطاب القرآني يحوي فكرة الاتصال من خلال تحديد المفاهيم البارزة في طياته.

اعتمدنا في ذلك على المقاربة السيميائية، حيث عالجنا الأنساق البصرية وغير البصرية للقصة القرآنية، كما سمحت لنا هذه الدراسة بمقاربة ثلاثة حقول معرفية، الحقل الأول هو حقل اللسانيات والذي تناولنا فيه سيميائية القصة القرآنية، أما الحقل الثاني فهو الحقل الديني، الذي سلطنا فيه الضوء على سورة قرآنية ألا وهي سورة النمل من الآية 20 إلى الآية 35 ، وفيما يخص الحقل الثالث فقد تمثل في حقل الاتصال من خلال استخراج مفاهيم العملية الاتصالية من القصة القرآنية.

* Corresponding author at: Hassiba Benbouali University of Chlef. ALGERIA
Email : soltani81-sc@hotmail.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1ـ مقدمة

لا شك أن للتعبير القرآني أسرارا وجماليات ولمسات وصورا فنية تدل على أن هذا القرآن كلام فني مقصود وضع وضعا دقيقا ونسج نسجا محكما فريدا من نوعه، ومن بين سوره "سورة النمل" التي تعتبر من السور التي حوت منظومة من قصص القرآن، حيث جاءت فيها قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع النملة، وقصته مع طائر الهدهد وما جرى بينه وبين بلقيس ملكة سبأ، بالإضافة إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام وغير ذلك من القصص والمواعظ، حيث إن كتاب الله سبحانه وتعالى في جميع سور القرآن جاء إما شارحا لقصص ووقائع حدثت في الماضي، أو مبينا لأحكام شرعية على وجه التفصيل.

وما يهمنا في هذه الدراسة تحليل الآيات التي شرحت قصة سيدنا سليمان مع الهدهد والملكة بلقيس تحليلا سيميائيا، مع تبيان تجليات الإعلام والاتصال في هذا النص القرآني وتبيان وسائل الاتصال بينهم وهي مختلفة باختلاف أطراف العملية الاتصالية، خاصة وأن اللغة المستخدمة بين سيدنا سليمان عليه السلام والهدهد هي لغة غير بشرية وهذا ما أوضحته دراسة "عبد الجليل غزالة" الذي يرى بأن "وسيلة الاتصال بين سيدنا سليمان والهدهد هي لغة غير بشرية، لم نستطع حتى الآن استيعابها لأنها غير مكتوبة ولا منطوقة ولا مقروءة، ولكنها تتوفر على معجم يفوق معجم لغات البشر من حيث الكم والنوع...فلقد تشكلت وسيلة الاتصال بين هذه المخلوقات عن طريق نظام دقيق المعجم، حيث نجد: الموجة، الخلية، الجسيم، الذرة، الكائن الحي والجزيء"[1].

وهذا يدل على أن هناك اتصالا بين الإنسان والحيوان وهذه العملية تدل على معاني كثيرة، فنظرا لأهمية الاتصال فقد أصبح الباحثون يولونه اهتماما كبيرا، حيث يرى "دومينيك فولتون" أن كلمة اتصال" ذات أصول ودلالات عديدة من الصعب السيطرة عليها، فهي تبعث إلى معاني كثيرة خصوصا في المجتمع الحديث حيث الانفتاح والتبادل المتواصل، وهي في قلب التجربة الفردية والجماعية أكثر من الإعلام"[2].

فنجاح الاتصال يتوقف على اتفاق المرسل والمتلقي حول معنى ضمني واحد بمعنى أن يتمكن المرسل من نقل الرسالة بكل وضوح ودقة كافيين باستعمال الإقناع الذي "يعد وظيفة أساسية في الاتصال تستهدف التأثير عن قصد وإقناع المتلقي بالتمسك برأي ما"[3] هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يتمكن المستقبل أن يستوعب ويفهم هذا القصد ويتأثر به، وهذا ما سوف نوضحه من خلال هذه الدراسة وذلك بتحليل رموز وشفرات الخطاب القرآني متمثلا في الرسائل المتبادلة بين النبي سليمان وطائر الهدهد والملكة بلقيس وكلّها رسائل مشفرة تحتاج للتأمل في معانيها واكتشاف دلالاتها .

انطلاقا مما سبق، تمحورت دراستنا حول الإشكالية الآتية: فيما تتجلى مفاهيم العملية الاتصالية داخل نظام الخطاب القرآني؟ وما مدى إمكانية تطبيق المقاربة السيميائية على هذا الخطاب المقدس؟

وقد تمخضت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات نطرحها فيما يلي:

- ماذا نعني بجماليات التلقي؟

- ما هو التمكين وفيما تبرز أهميته بالنسبة لعناصر القصة في سورة النمل (سيدنا سليمان والهدهد والملكة بلقيس)؟

- من هو القارئ الضمني في سورة النمل (الآيات من 20 إلى 35)؟ وما هو دوره في النص؟

- كيف تتم عملية تفكيك شفرات الخطاب القرآني في الآيات (20 حتى 35) من سورة النمل؟

- فيما يتجلى مفهومي الإعلام والاتصال ضمن الآيات (20 حتى 35) من سورة النمل؟

أهداف البحث: نصبو من خلال هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- الولوج إلى عالم الخطاب القرآني من جانب سيميولوجي الذي يختلف نوعا ما عن الجوانب الأخرى كالأدب والشعر وغيرهما.

- تبيان أهم مفاهيم العملية الاتصالية التي تناولها اللغويون القدامى والمفسرون في كتاباتهم في تفسيرهم لسورة النمل (الآية 20 حتى الآية 35).

- تحديد ماهية جماليات التلقي، ومعرفة دور القارئ الضمني في سورة النمل (الآيات من 20 إلى 35).

- الكشف عن أهمية التمكين في عناصر القصة المتمثلة عناصرها في (سيدنا سليمان والهدهد والملكة بلقيس).

- تبيان كيفية تفكيك شفرات الخطاب القرآني من خلال سورة النمل (الآية 20 حى 35).

الإجراءات المنهجية

ـ منهج الدراسة: نظرا لطبيعة الدراسة وخصوصية الموضوع اعتمدنا على المنهج السيميولوجي الذي يهدف إلى تفكيك الرموز والشفرات واستنتاج المعاني عن طريق استنطاق الدلالات التي تحملها الرسائل وهو منهج يخوض في مضامين الرسائل والخطابات والنصوص لاكتشاف المضمون الكامن والخفي.

وللوصول إلى تفكيك الدلائل والرموز في الخطابات اللغوية والبصرية استعنا بمقاربة " مارتن جولي" التي تقوم بالبحث عن الدلالة الخفية لمحتوى الرسائل واكتشاف المعاني غير الظاهرة من خلال: الوصف، المستوى التعييني والمستوى التضميني.

أولا: الوصف أي وصف وإبراز السمات والخصائص المميزة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للموضوع، أي: إبراز كل ما هو موجود في الآيات (من 20 حتى 35) من سورة النمل المتضمنة لقصة سيدنا سليمان عليه السلام وطائر الهدهد والملكة بلقيس.

ثانيا: المستوى التعييني بمعنى: الانطباع الأول لمستقبل الرسالة المتضمنة في الخطاب القرآني والتي تحتوي على القصة سالفة الذكر، وبهذا نجد أنفسنا أمام دال ممثل لمدلول معين وهذا المستوى عند "بارث" هو المعنى الجلي للدليل أي: ما هو ظاهر وواضح ومفهوم للعيان [4].

ثالثا: المستوى التضميني الذي يخص القراءة الثابتة والمعمّقة للنص القرآني، أي ما يحمله من دلالات وقيم رمزية يتم تحليلها في سياق ثقافي مشترك.

عينة البحث:

اعتمدنا على العينة القصدية المتمثلة في الآيات من (20 حتى 35) من سورة النمل.

قال الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35). [5]

2ـ جماليات التلقي في الخطاب القرآني

تعتبر مسألة التلقي مسألة جوهرية تحمل إشكالا تاريخيا ممتدا إلى فعل القراءة ووقع القارئ، أو هي إشكال التواصل الذي يبحث عن أصوله وممكنّات وجوده من خلال الوصول إلى الوعي الجمالي الذي صنع دهشة الفنان وبهر مشاعره، وترتكز جماليات التلقي أساسا على إدراج فعل الفهم في أية قراءة [6].

من بين المفاهيم التي نشأت في أحضان البلاغة العربية، نظرية التمكين والقارئ الضمني والفراغ الباني وهذا ما سنتناوله من خلال معالجتنا وقراءتنا لقصة النبي سليمان عليه السلام وطائر الهدهد والملكة بلقيس في سورة النمل.

1.2 نظرية التمكين وتجلياتها في الخطاب القرآني (سورة النمل الآية 20 حتى 35)

نشأت هذه النظرية في أحضان البلاغة العربية، ولها أصول في الدراسات التي دارت حول فكرة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وكما يمكن أن تتسم نتائجها على الفن كله، وذلك لأن صلتها القوية بوضعية المعنى (إنتاجه وتلقيه) تجعل منها نظرية ممكنة التطبيق في ميدان الفن كله [7]. إن الذين كتبوا في الإعجاز ذهبوا إلى أن الوجه الإعجازي للبيان يتجلى في قدرة النظم على تمكين المعنى في النفوس.

ويرى "القاضي عياض" أن أحد وجوه الإعجاز البياني هي الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه[8]، ويرى "الزركشي" في "البرهان" أن أحد هذه الوجوه هي الروعة التي في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقر أو الجاحد [9] ، بينما "الشريف الجرجاني" يقول في كتابه " التعريفات:" أن التمكين هو " مكان الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، ومادام العبد في الطريق، فهو صاحب التمكين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتّصل فقد حصل التمكين [10].

فبعد الحديث عن تعريف التمكين، سنتطرق لتجلياته من خلال قصة النبي سليمان عليه السلام مع بلقيس وطائر الهدهد، فالتمكين هو أن يتمكن المرسل من عقل وقلب المتلقي، وأن يضمن إصغاءه وانتباهه لما يقول، وبالتالي حصول استقرار الرسالة في نفس المستقبل، وهذا ما حصل مع سيدنا سليمان – عليه السلام- لمّا أتاه الهدهد بالخبر الذي لم يكن يتوقعه ولا ينتظره، وهنا انفتحت أبواب القلق والتفكير والبحث والتفسير عند النبي سليمان، وهنا تكمن قوة التمكين.

وكأن بهذا النبأ يقول للنبي سليمان لقد فزت عليك، وتمكنت منك، وبعثت في كيانك السكينة – بعد حالة الغضب التي كان فيها – وجعلتك تنساب وراء الحروف التي حملت في طياتها ميكانيزمات التأثير والإقناع، وهما آليتان يستعملهما القائم بالاتصال قصد التمكّن من المتلقي.

وقد نتساءل كيف استطاع الهدهد التمكّن من النبي سليمان عليه السلام ؟ فهو هنا قام بتلوين رموز رسالته، وحولها إلى خطاب بصري، حيث جعل النبي سليمان يتخيل ويتصور الحالة التي فيها بلقيس وقومها من جاه وعز وكفر وظلال.

كان هذا بالنسبة للكتاب الذي أتى به الهدهد، أما بالنسبة للكتاب الذي أرسله النبي سليمان إلى الملكة بلقيس، فهو الآخر لم يخرج عن نطاق التمكين والتمكّن، فقد ورد فيه "إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) (سورة النمل) . وقد استعان النبي سليمان لإيصاله لها بطائر الهدهد، ذلك الطائر الذكي والمؤدب، والذي كانت طريقة تسليمه للرسالة إحدى العوامل التي زادت من اهتمامها، حيث جذبت نظرها وحسّها ودفعها فيما بعد لتغيير بنيتها العقائدية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو قمنا بتحليل بسيط للرسالة لوجدناها مجموعة من الكلمات مرفوقة بفنون السحر الرباني، حيث استطاعت هذه الحروف الفقيرة في عددها والغنية في دلالاتها أن تقلب زمام الأمور، فهي الصحيفة التي وصفها المفسّرون بأنها في غاية الفصاحة والإيجاز، فبدأها ب " إنّ" التوكيدية ، ثم كررها للتأكيد على ما يقول، لأن التكرار يلعب دورا كبيرا في الإقناع، وهذا قصد التمكّن من بلقيس وقومها، وحقيقة هذه الكلمات القليلة تمكنت منهم وأثّرت فيهم، وجذبت انتباههم، ذلك لأن الملكة ورعيتها انساقوا وراء هذا الخطاب وانظموا إلى صفوف النبي سليمان بعد التيقن من صدقه.

وخلاصة القول، أن التمكين يصنع رجل الإعلام ويجعل منه خطيبا قادرا على التغيير أو التعديل أو التأثير على مواقف المتلقي، وهنا تبرز فعالية وجماليات العمليات الاتصالية التي توجب على القائم بالاتصال استعمال التأثير والإقناع لبلوغ أهدافه.

2.2 القارئ الضمني

يقول " آيرز" أن القارئ الضمني ليس له أي وجود حقيقي، فهو يجسد مجموعة التوجيهات الداخلية للنص المتخيل، لكي يتيح لهذا الأخير أن يتلقى ، فالقارئ الضمني " ليس شخصا خياليا مدرجا داخل النص، ولكن دوره مكتوب في كل نص، ويستطيع كل قارئ أن يتحمله بصورة انتقائية وجزئية وشرطية، ولكن هذه الشرطية ذات أهمية قصوى لتلقي العمل، ولذلك فإن دور القارئ الضمني يجب أن يكون نقطة الارتكاز لبنيان استدعاء الاستجابة للنص[11]، بمعنى آخر أن هذا المفهوم يوحد كلا من ما قبل بناء المعنى الضمني في النص، وإحساس القارئ بهذا التضمين عبر إجراءات القراءة [12].

وعليه يتضح مما تقدم، أن القارئ الضمني هو الذي يشارك المرسل عمله، وهو الذي يبحر في طيات المضمون ليقرأ ما بين السطور، ويقوم بعملية التحليل والتفكيك للرسالة الموجهة إليه بغية كسر الغموض الذي يكتنفها، وليس أي قارئ يعتبر قارئا ضمنيا، بل يشترط فيه عدة شروط، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أن يكون مثقفا، متطلعا، ذكيا، فطنا ومتفقها في علوم اللغة، ويملك القدرة على التذوق والغور في معاني الكلمات.

ففي القصة المدروسة (للنبي سليمان مع الهدهد والملكة بلقيس) كان الهدهد متلقيا ضمنيا، فهو لم ينقل الرسالة إلا بعد تأكده من أهميتها، فقد أدرك أن بلقيس هي ملكة، والمحيطون بها هم رعيتها، كما أدرك أنهم يعبدون الشمس من دون الله، وما هكذا يكون إدراك الهدهد العادي، بل لأنه كان هدهدا خاصا وله إدراك متميز، ومن جهته النبي سليمان كان هو الآخر قارئا ضمنيا، حيث تلقى الرسالة من الهدهد ولم يتعجل في الحكم عليها، بل أعطاها من الأهمية ما تستحقه، لأنه أراد التأكّد من صحتها.

أما الملكة بلقيس، فقد كانت هي الأخرى متلقية ضمنية، حيث عرفت كيف تحلل الكتاب (الرسالة) الملقى إليها، وفهمت فحواها، ثم استشارت قومها في الأمر قبل اتخاذ أي قرار.

3.2 جماليات الفراغ الباني

إن جماليات الفراغ الباني التي أحاطها "آيرز" بالعناية تستدعي بالضرورة حضور القارئ الضمني، والذي يقوم حسب" أمبرتو إيكو" بسدّ الفراغات أو الثغرات أو الفجوات[13].

أما من المنظور البنيوي، فشعرية الغياب وجمالية الفراغ الباني أصبحت تقرر حقيقة فحواها: " أن كثافة الوعي بالشيء تضعف بتواتر حضوره، وتزداد بغيابه، ولذلك اندرج ضمن القيم المعرفية الجديدة الحديث عن اطراد حضور الأشياء، وعن درجة غيابها، فأصبح الغائب حكما على الحاضر، بعد أن كان الحكم الوحيد هو معيار الحاضر على الغائب.[14]

ويمكننا استخراج الفراغ من القصة المعالجة والتي دارت أحداثها بين (النبي سليمان، طائر الهدهد والملكة بلقيس) من خلال تلك الفجوات الفارغة المتلئة الموجودة بين السطور، والتي يقوم القارئ الضمني بملئها، ويتمكن من تسويد البياض الذي تتضمنه الرسالة، هذه التي أسالت حبر الكثير من المفسرين، وجعلتهم يؤلفون الكثير من الكتب، ويبدعون ويحللون، لملء ذلك الفراغ المتضمن فيها، فهذه الآيات لم تشرح كل شيء، بل تركت للقارئ فراغات ليملأها مستخدما عقله وقلبه في نفس الوقت لاستيعاب معناها.

وعليه سنستخرج الفراغ الباني من الآيات محل الدراسة: فأول فراغ جاء بين الآية بعد قوله سبحانه وتعالى :" لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين " والآية:" فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" . فالآية الأولى تضمنت تفقد النبي سليمان – عليه السلام- لطائر الهدهد وذلك لحاجته له، وقد اتضح له بأنه غائب، فأخذ الأمر بحزم وتوعده بالذبح، وفي الآية الأخرى، جاء فيها قدوم الهدهد بالخبر، فالفراغ تمثل في فترة قدوم الهدهد من المكان الذي وجد فيه الخبر، إلى مكان تواجد سليمان بعرشه.

والفراغ الثاني يظهر بين الآيتين" اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ " والآية " قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ". ففي المشهد الأول من الآية (27) النبي سليمان – عليه السلام- كتب كتابا إلى ملكة سبأ وقومها، وأعطاه للهدهد ليحمله إلى بلادها، والذي طار من عرش سليمان إلى عرش بلقيس، ووصل إليها وألقى عليها الكتاب، وتولى عنها، فالتقطته وهي مندهشة من أمر هذا الهدهد العجيب، ثم فتحته وقرأته على قومها، فهذه كلها لقطات من مشاهد القصة لم يتم ذكرها في الآية لكن يترك المجال للقارئ ليملأها.

ويوجد فراغ باني آخر بين الآيتين " وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ " والآية فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ" الفراغ هنا يتمثل في نقل الهدية (آنية من الذهب والجواهر) من عرش بلقيس إلى عرش سليمان عليه السلام.

3ـ المقاربة السيميائية

التحليل السيميائي للآيات من 20 حتى 35 من سورة النمل

3ـ1 الوصف

اقتصرنا على تفسير قصة النبي سليمان من سورة النمل، وفضلنا أن يكون تحليلنا ووصفنا لها من خلال مشاهد:

المشهد الأول: من الآية: " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) " " سورة النمل".

هنا تفقد النبي سليمان طائر الهدهد لحاجته له، ولمّا علم بغيابه توعّده بالعقاب، إن لم يأته بأمر يبين غيابه.

المشهد الثاني: يبدأ من الآية: "فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) ". "سورة النمل"

وهنا يمكن القول بأن العملية الاتصالية بدأت، وذلك بحضور الطير ومعه الرسالة، أو النبأ العظيم للنبي سليمان – عليه السلام- الذي كان بمثابة المفاجأة له.

وقد تعرض كل مفسر للخبر بأسلوبه الخاص: فابن كثير في تفسيره ذكر بأن الهدهد عاد بخبر كان بمثابة المفاجأة لسيدنا سليمان- عليه السلام- حيث طغى على أمر غيابه، وهنا لو دققنا قليلا لوجدنا أن الهدهد كان بارعا في عرضه للخبر، حيث بدأ خبره بالأكثر أهمية، ليشدّ انتباه سيدنا سليمان ويضمن اصغائه، وذلك عندما قال: " أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين" فأيّ ملك لا يصغي وأحد رعاياه يقول له :" أحطت بما لم تحط به" وعندما يضمن عنصر الاصغاء يدخل في تفصيل الخبر، ولعل هذا ما يعرف الآن في مجال الإعلام "**بتقنية الهرم المقلوب**" في بناء الخبر في الإعلام، أي أننا نبدأ الخبر من الأكثر أهمية إلى الأقل أهمية، لاسيما في الموقف الذي كان يتواجد فيه.

ثم بدأ الهدهد في عرض الخبر فقال: " إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) ." "" سورة النمل"

ذكر الطبري في تفسيره "جامع البيان" هذا الخبر بالحجة والتي عليه يبينها للسامعين، وأن الهدهد قام بدور المخبر لسليمان – عليه السلام- عن بلقيس وقومها، وبالتالي نقل الهدهد الخبر إلى النبي سليمان – عليه السلام- الذي كان متلقيا.

وفي " تفسير الظلال" لسيد قطب، فقد تعرض لبعض السمات التي انفرد بها الهدهد عن بقية الطيور، والتي يمكن للمرسل أن يتحلى بها: فقد كان صاحب إدراك، حيث أدرك طبيعة الموقف الذي يتواجد فيه، كما كان صاحب ذكاء وبراعة في عرض الخبر، وكان صاحب تلميح وإيماء لأنه هدهد خاص.

المشهد الثالث: من الآية "قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) ". "سورة النمل"

أراد سليمان – عليه السلام- أن يتأكد من صحة الخبر الذي أتى به الهدهد، فكتب رسالة وحملها للهدهد لكي يوصلها لبلقيس وقومها، وهنا تحول النبي سليمان من متلقي للخبر إلى المرسل له، وهذا ما يعرف في الإعلام والاتصال بجدلية " المرسل والمستقبل" والتي تدل على أنه قد وقعت عملية التبادل، هذه الأخيرة التي تعتبر شرطا أساسيا لقيام عملية الاتصال، فالنبي سليمان أصبح مصدرا بعدما كان مستقبلا، والهدهد هو الوسيلة التي استعملت لإيصال الرسالة، وبلقيس وقومها صاروا متلقين للرسالة.

الهدهد

سيدنا سليمان ⟵ بلقيس وقومها

الرسالة

وقد سمّى ابن كثير الرسالة ب" الكتاب" ، أما الطبري فقد سماها " الصحيفة". حتى هنا لم نكن نعرف فحوى أو مضمون ما كتبه النبي سليمان للملكة بلقيس.

المشهد الرابع: " قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) . " سورة النمل"

فقد ذكر كل من سيد قطب وابن كثير في تفسيرهما لهذا الكتاب – والتي يمكننا الاستعانة بها في رسائلنا- بأنها قالت: أنه كتاب كريم، ووصفته بهذا لأنه ابتدأ ببسم الله الرحمان الرحيم، وأنه معروف المصدر، " إنه من سليمان" وأنه كتاب في غاية البلاغة والإيجاز والفصاحة، حيث تم حصر المعنى بأيسر العبارات وأحسنها، فالرسالة الاتصالية كلما كانت قصيرة وموجزة، كلما كان لها تأثير قوي، وهذا ما يميز الأسلوب القرآني عن باقي الأساليب الأدبية.

المشهد الخامس: " قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (32) قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (33) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (34) وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون (35)". " سورة النمل"

قرأت بلقيس كتاب النبي سليمان على قومها، واستشارتهم في الأمر وفوضوا الأمر لها، فبعد تلقيها للرسالة تكوّن لها رد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعل حولها وأرادت الرد عليها، أي: أنها تحولت من متلقي إلى مرسل (جدلية المرسل والمستقبل) وهنا ذكر "ابن كثير": أنها قالت: سأبعث إليه بهدية تليق بمثله، وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، وبالتالي أصبحت مرسلة للهدية لأنها تنتظر رد فعل النبي سليمان، وذكر "سيد قطب" أن بلقيس كانت ذكية في إرسالها للهدية، حيث عرفت أن الهدية تلين القلب، وتعلن الودّ، وقد تفلح في دفع القتال، وهذا ما ينبغي على المرسل أن يدركه، أي كيف يتصرف لاستمالة من يريد الاتصال بهم، وقد ذكرنا أن جدلية المرسل والمستقبل تعني أنه قد وقع تبادل للرسائل الاتصالية وهذا التبادل هو أساس العملية الاتصالية.

2.3 المستوى التعييني

سنقوم بإعطاء قراءات أخرى جديدة لهذه الآيات، وملء الفراغات، وتلوين البياض واستخراج المواطن التي حدث فيها اتصال وانسجام بين الثنائية (المرسل والمتلقي) ولإبراز ذلك سنقوم بتحليل هذه الآيات في الجدول الآتي:

الجدول رقم(1)

يبين المستوى التعييني للآيات (من 20 **حتى** 35) **من سورة النمل**

الدّال	المدلول
(تفقد (التفقّد	فطنة الملك لشؤون رعيته، إذ أنه لم يغفل عن جند من جنوده التي لا تحصى ولا تعدّ من جن وإنس وطير
مالي لا أرى الهدهد	غياب الهدهد
	للهدهد مكانة خاصة عند النبي، مما جعله يهتم بأمره ويسأل عنه.
	هذا الغياب كان بدون عذر.
لأعذّبنه عذابا شديدا	حالة الغضب التي كان عليها النبي سليمان عليه السلام
	حاجته الماسّة لطائر الهدهد
لأذبحنه	بلوغ الغضب ذروته.
	تحذير بقية الرعية من الغياب بدون عذر، وذلك للعبرة
سلطان مبين	حجة لتبرير الغياب
	إن النبي سليمان ليس بالملك الجائر الفاجر، بل هو ملك عادل وذلك لأنه وضع استثناء لعدم معاقبة الهدهد.
ولها عرش عظيم	مدى ثراء الملكة بلقيس وعظمة عرشها يدل على ذلك
	تدل على ذكاء الهدهد، لأن في اعتقاد النبي سليمان لا يوجد عرش يضاهي عرشه.
يسجدون للشمس	عبادة المخلوق والشرك بالخالق
الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم	تأكيد على عظمة الله وقدرته
	لا يوجد عرش أعظم من عرش الخالق
اذهب بكتابي هذا	توجيه رسالة من قبل النبي سليمان إلى الملكة بلقيس بواسطة الهدهد
كتاب كريم	تأكيد على عظمة الرسالة ومنزلة مرسلها
	وصف بهذا الوصف لأنه من النبي سليمان الذي كان من أعظم ملوك ذلك العصر
إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم	تكرار أداة التوكيد "إنّ" للتأثير والإقناع
	أما البسملة فهي دلالة على عبادة النبي سليمان لله سبحانه وتعالى وهذا ما لفت انتباه الملكة بلقيس.
أفتوني في أمري	قراءة الرسالة لم تكن مقتصرة على الملكة بلقيس فقط وإنما كانت موجهة لقوم سبأ ككل.
	الأمر شورى بين الملكة وقومها وعدم اتخاذ قرار انفرادي لأنه مصير قوم بأكمله وليس الملكة فقط
إني مرسلة إليهم بهدية	محاولة الملكة إغراء الملك والنبي سليمان وقومه بإرسال الهدية ضانة أنها أكثر ملكا من ملكه
	حكمة الملكة بلقيس وعدم التسرع في الرد بالمقاومة

المصدر: من إعداد الباحثة

ومما سبق سنستخرج المواطن التي حدث فيها اتصال وانسجام بين الثنائية: (المرسل والمتلقي).

أ/ حدث أول تواصل بين الهدهد والنبي سليمان، من خلال عرض الهدهد فحوى رسالته على الملك، الذي قابلها بالإصغاء حتى انتهاء الهدهد من سردها.

وكانت الرسالة هنا شفوية، لأن الهدهد هو المرسل والوسيلة في نفس الوقت، وبالتالي لا تحتاج إلى تدوين.

ب/ أما التواصل الثاني، فكان بين النبي سليمان والملكة بلقيس، فبعدما أصغى لفحوى الرسالة، أراد التحقق من صحتها، فسلّم كتابا من أجل إيصاله للملكة بلقيس، وكانت الرسالة مكتوبة، حيث دونها النبي سليمان وحمّلها للهدهد، الذي أوصلها للملكة بلقيس، وكانت مكتوبة لأن سيدنا سليمان هو الوحيد الذي كان يعرف منطق الطير، في حين أن الملكة لا تعرف لغة الطير.

ج/ أما التواصل الثالث، فحدث بين الملكة بلقيس ورعيتها، إذ استشارتهم في الأمر، بعدما قرأت عليهم فحوى الرسالة المكتوبة، وكانت الرسالة هنا شفوية.

وتتمثل ألفاظ الاتصال فيما يلي:

سلطان مبين ← الحجّة أو البرهان للإقناع

نبأ يقين ← الإتيان بمعلومة لما فيها من صدق الخبر

كتاب كريم ← رسالة مكتوبة

الإرسال ← التبرير – التأكيد لإقناع المتلقي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجدول رقم (2)

يبين نوع الرسالة الإتصالية وسبب إرسالها

نوع الرسالة الاتصالية	سبب الإرسال
شفوية	تبرير الغياب
مكتوبة	التأكد من صحة الخبر
هدية	التأكد من صحة النبوة

المصدر: من إعداد الباحثة

3.3 المستوى التضميني

إنّ لغة القرآن عبقرية النسج، أنّى تجلت في آية أو سورة وعلى أي نحو تعرضت لها بالتحليل، فهناك آيات عجيبات من البدائع البلاغية، تتجسد في البناء الإفرادي، كما تتجسد في البناء التركيبي وحتى الأزمنة المختلفة المستخدمة في هذه اللغة تختلف عن الأزمنة المتعارف عليها في النصوص الأدبية هذا من جهة، ومن جهة أخرى سنتناول الحيز القرآني الذي هو بدوره يتنوع ويختلف، ولهذا على القارئ لهذه الآيات أن يدركها ويفهمها ليتسوعب معناها ودلالاتها السيميولوجية.

ولهذا سوف نتطرق في هذا الجزء إلى كل من الزمن القرآني وأنواعه والحيز القرآني وأنواعه من خلال استخراج مواطنهما من الآيات المدروسة وبيان دلالاتها السيميولوجية ودرجة تأثيرها على متلقي الرسالة الاتصالية.

1.3.3 الزمن القرآني

يختلف هذا الزمن عن الأزمنة الأخرى، ولقد خصص هذا الزمن بالوصف القرآني، لأنه يستأثر بوضع خاص، حيث ينظر إليه "محمد أركون" على أساس أنه عجائبي [15]، وفي تحليلنا هذا نريد دراسة زمن الآيات، ولهذا نستخلص منه جملة من الأزمنة نذكر منها ما يلي:

أ/ زمن الفعل: ينقسم إلى: زمن ماضي، زمن حاضر وزمن الأمر.

ب/ زمن الاسم: هناك ثلاثة أضرب وهي: الزمن السرمدي، الزمن الأبدي والزمن العارض.

أولا: زمن الفعل

أ- الزمن الماضي: من الواضح أن يكون الزمن الماضي القرآني هو حتما غير الزمن الماضي المألوف في النصوص الأدبية الدنيوية، في حين يتصل الشأن مثلا بقوله تعالى :" فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ " فزمن فعل القول هنا هو زمن الماضي، لأنه يتوقف عند تحدث النبي سليمان مع رعيته، ونرى بأن فعل القول تكرر في الآيات محل الدراسة من سورة النمل تحت شكل الزمنية الماضية ست مرات، لأننا ندرس قصة ماضية، وفاعل هذا الفعل الزمني يتراوح بين النبي سليمان وطائر الهدهد والملكة بلقيس.

" وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ " هنا الفعل ماضي يدل على "التفقد"، الذي قام به النبي سليمان قصد البحث عن الهدهد، فهذا الفعل ماضي متواصل إلى غاية مجيء الغائب.

"فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ " فالفعل (مكث) حدث في فترة قصيرة، أي عندما أراد النبي سليمان استجواب الهدهد، فهو فعل ماضي يتوقف إلى غاية تقابله مع النبي سليمان، إن دلالة الزمن في الفعل (مكث) على الرغم من استغراقها في أعماق الماضي، إلاّ أنها جاءت مباشرة بعد فعل التفقد، ففعل المكوث جاء بعد فعل التفقد.

" أحطت ...وجئت" جاء الهدهد هنا بالخبر، ووظف الفعل (أحطت) لما له من دلالات، فلماذا لم يقل وجدت مباشرة ؟ وقال: أحطت، لأن فعل "أحاط" له دلالة الشمولية (أي الإحاطة بكل شيء) وهذا ما يجب أن يتوفر لدى القائم بالاتصال، بمعنى الإحاطة بكل ما يتعلق بالرسالة الاتصالية المراد توصيلها إلى المتلقي، ففي فترة غيابه – الهدهد- تحصل على معلومات حول ملكة سبأ وقومها، ومباشرة جاء وراءه الفعل (جئت) وهو مرتبط بالفعل الأول، بما أنه زمن ممتد في الماضي فهو أيضا ممتد في الحاضر، فزمن الفعل يدل على وجود نبأ وهو الذي تبنى عليه كامل القصة.

" وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ " الفعل (وجد) ماضي لكن له دلالة مستقبلية، لأن المرأة التي وجدها الهدهد هي ملكة سبأ وستظل ملكة.

" وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ" استبد الشيطان في هذه الحالة ماضيين، الأفعال التي قام وما زال يقوم بها، وامتد في الماضي بالقدر الذي هي ممتدة فيه في الحاضر وفي المستقبل ، فكأن كل زمن من الفعلين (زيّن – صدى) المتعلق بالشيطان ينصرف إلى ماضي وحاضر ومستقبل.

" قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ" وجدت هنا قرينة نحوية (إذا) وبعدها ثلاثة أفعال (دخل، أفسد، جعل) وهي مرتدية رداء الماضوية، فهي تأخذ زمن الماضي، لكنها متواصلة في الحاضر والمستقبل، كون أن الحاكم من طبيعته إذا دخل قرية أفسدها، فهي تتخذ صورة الماضي شكلا وتحمل معنى الزمن المستمر.

ب-زمن الحاضر: هو الآخر يختلف عن الزمن الحاضر المألوف في النصوص الأدبية فمثلا:

في قوله تعالى:(لأعذبنه - لأذبحنه- ليأتيني) فهذه الأفعال لا ينبغي لها أن تدل على حاضر محدود ولا على مستقبل محدود، فالأفعال (أعذب وأذبح) هي أفعال دالة على زمن الحاضر، إلاّ أنها لا تتم إلا بمجيء الهدهد، وإيجاد تبرير لغيابه، أي أنها أفعال تبقى مستمرة حتى يأتي الهدهد.

" يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ " ففعل السجود الذي يتحدث عليه الهدهد، في زمن الحاضر، إلا أن بلقيس وقومها ومن سبقوهم كانوا وما زال هناك من يعبد الشمس، ففعل السجود هذا له دلالة زمنية مستمرة.

" لا يهتدون" فعل الهداية قد سبق بأداة النفي " لا" أي أنهم لا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يهتدون ما داموا يعبدون غير الله، فزمن الفعل "يهتدون" ليس محصورا في الزمن الحاضر فقط، بل هو مستمر إلى غاية أن يتوبوا لله.

" يخرج الخبء ويعلم ما تخفون" الفاعل لهذه الحركة الزمنية ومحدثها بمشيئته هو " الله" سبحانه وتعالى، والأفعال هي (يخرج، ويعلم)، فالزمن في حركة الإخراج والعلم يمتد إلى أول المشيئة الإلاهية، وهي غير محدودة الأزلية، ففعل الحاضر في مفهوم هاذين الفعلين يشتمل على زمن أبدي، ممتد في أعماق كل الأزمنة، فهو أبعد مدى من الحاضر والمستقبل، لأن علم الله بخلقه لم ينقطع، ولن ينقطع، بل هو مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكذلك الأفعال (تشهدون، تأمرين، يفعلون) فدلالة الزمن في هذه الآيات، على الرغم من مجيئها في شكل فعل الحاضر، إلا أنها تبقى مستمرة، حتى يتم الاتفاق على أمر واحد يخرج به الجميع (بلقيس وقومها).

ج- زمن الأمر: يتجلى فيما يلي:

قوله تعالى: " اذْهَب بِكِتَابِي هذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ" فأفعال الأمر هذه اقترنت بحروف الوصل (الفاء، ثم) وهي أفعال مترابطة مع بعضها البعض، موجهة من المرسل إلى المتلقي، ذلك قصد التأكد من صحة النبأ الذي جاء به طائر الهدهد بخصوص المعلومات حول الملكة بلقيس وقومها، فهذه الأفعال (اذهب، ألقي، تولى،انظر) هي أفعال متتالية، حيث جاء الفعل تلوى الآخر، ومتواصلة ومستمرة، فبعدما يذهب، يلقي الكتاب، ثم يتولى عنه، وأخيرا ينظر ماذا يرجعون.

وأيضا قوله تعالى: "أفتوني ...فانظري" الفعل (أفتوني) موجه من بلقيس إلى قومها قصد استشارتهم، وهذا دليل على عظيم شأنهم. والفعل (انظري) بالرغم من أنه يأخذ صيغة الأمر، إلا أنه في الواقع هو فعل عادي، أي أن القوم لا يستطيعون أن يصدروا أمرا لملكتهم، خاصة الملكة بلقيس نظرا لقوتها.

ثانيا: زمن الإسم

ينقسم زمن الاسم إجرائيا إلى زمن سرمدي، زمن أبدي وزمن عارض.

أ/ الزمن السرمدي: يطلق عليه زمن الألوهية[16] وهو يتجسد في نص هذه الآيات خصوصا في لفظ " الله" و" باسم الله" و" من دون الله" و "ألاّ يسجدوا لله" ، حيث تكررت عدة مرات، فحين يذكر لفظ " الله" اسم الجلالة يسجد كل شيء في الكون.

" الرحمان الرحيم" ، إن الرحمان والرحيم هو الذي خلق الإنسان والكون وكان قبلهما بما لا يجوز تقديره بأي قبلية، وسيكون بعدهما بما لا يجوز تقديره بأي بعدية، وبناءا على هذا يغتدي مقوّم "الرحمان والرحيم" أكثر المقومات ازدخارا بالزمن وأبعدها غورا في الدلالة عليه.

ب/الزمن الأبدي: يتجسد هذا الزمن في المظاهر والأشياء والأمكنة الأبدية مثل: الشمس: فقراءة الشمس جيولوجيا ولا يمكن قراءتها إلا كذلك، يعني ذكرها وتصور مدلولها على حقيقته الزمنية، خمسة ملايير سنة وهذه السنة هي ربع عمر الكون [17].

" السماوات": وهي تلك السماوات التي رفعها الله، وهي سبعة فهو وحده يعلم ما فيها، وما بينها وبين السماء الدنيا، وهي مجموعة من البروج، لقوله تعالى في سورة البروج :" والسماء ذات البروج" [18]

فالمجموعة الشمسية هي السماء الدنيا بالنسبة لنا نحن معشر البشر، وأما السماوات العلا، فلا نستطيع أن ندرك كواكبها لبعدها عنا.

أما " الأرض": فهي الكوكب الثالث في المجموعة الشمسية، وهي دنيانا التي منها خلقنا الله، وعليها نحيا ونموت، ومنها نبعث إن شاء الله لقوله تعالى: " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ" [19].

"العرش العظيم" : يقصد بذلك عرش الرحمان الذي لا يضاهيه عرش آخر، وهو عرش أبدي لا يفنى، لأنه متصل بالله عز وجل.

ج/ الزمن العارض:

من بين الأسماء الحاملة لمثل هذا الزمن الدنيوي العارض[20] الذي يكون حتى ينتهي ويظهر ذلك فيما يلي:

" الطير": من بينها الهدهد باعتبار أن الطيور كائنات حية كسائر الكائنات الأخرى، فإنها سوف يأتي يوم وتفنى، ومن بين الطيور التي كان يتعامل معها النبي سليمان عليه السلام: الهدهد، ورشان، الطاووس، الصرد، الخطاف، الحمامة، النسر، العقاب، الغراب وغيرها [21].

فالنبي سليمان هو الوحيد الذي علّم منطق الطير، والهدهد مثلا هو طائر معروف ذو خطوط وألوان كثير وكنيته أبو الأخبار، يذكر عنه أنه يرى الماء تحت الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاجة، كما اطلق عليه في كتب بعض المفسرين اسم (المهندس).

" سبأ": لقد ارتبط تاريخ دولة اليمن بحضارات عظيمة ذات شأن ويمثل تاريخ دولة سبأ - الذي ورد ذكرها في القرآن- وحضارتها عمود التاريخ اليمني القديم.

" امرأة": تعني هنا ملكة سبأ (بلقيس) التي كانت في مأرب في قصر أبيها الذي ورثه من آبائه الملوك، فلا تقع العين في اليمن كلها سهلها وجبلها على أجمل من بلقيس وأحسن وجها، وكأنك عندما ترى بلقيس فإنك ترى صورة للجمال رسمتها يد نابغ في التصوير، وكانت تتميز بعظمة النفس واللسان الفصيح ومنطقها العذب، كذلك تميزت بطبيعة القساوة [22].

" عرش عظيم": يقصد به عرش الملكة بلقيس، لكن يطرح السؤال هنا: كيف سوى الهدهد بين عرش الله وعرش بلقيس في وصفه بالعظيم؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الإمام "الزمخشري" : إنه بين الوصفين بون – فرق- عظيم، لأن وصف عرش بلقيس بالعظيم تعظيما له، بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله بالعظيم تعظيما له بالنسبة إلى سائر ما خلق الله من في السماوات والأرض [23]. فعرش بلقيس – حسب بعض التفاسير- كان مصنوعا من الذهب، مكللا بالدرّ والياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد.

" النبي سليمان عليه السلام": الملك سليمان ابن النبي داوود عليهما السلام، سخّر الله له الإنس والجن والطير والرياح، وأتاه مع ذلك النبوة، وسأل ربه أن يأتيه ملكا لا ينبغي أن يكون لأحد من بعده، فاستجاب له الله فأعطاه ذلك.

ومن بين صفاته – حسب بعض التفاسير- كان أبيض جسيما وضيئا، كثير الشعر، يلبس من الثياب البياض، وكان أبوه في أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلغ الرجال يشاوره في أموره.

2.3.3 الحيز القرآني

للحيز القرآني شأنا عجيبا، أي: عجيب النص القرآني العظيم الذي يتنوع ويتلون ويغتني ويختصب، ويتوالد ويتنامى...، فمثله مثل الزمن القرآني دنيوي زائل وبعضه روحي خالد وبعضه الآخر إلاهي أزلي،

وإن الأحياز تتنوع وتتعدد من بينها: الحيز الإلاهي، الحيز الروحي، الحيز الكوني والحيز الاتصالي.

أ. الحيز الإلاهي

يتضمن الحيز الإلاهي الألوهية المتجسدة في قلوبنا وفي أعماق إيماننا وفي الكون الذي يحدق بنا، فالذي لا يعرف الله في نفسه، وفي ملكوته وفي خلقه وفيما يقدر، وفيما يدبّر لا يمكن أن يعرفه أبدا، فالله لا مكان له وهو مع ذلك موجود في كل مكان، فكيف يكون له حيز وحيزه لا يقاس بمساحة؟

فالحيز الإلاهي هنا هو ذاته ألوهيته، عظمته، جلاله، سموّه، وجوده، قدرته، إرادته، علمه، سمعه، بصره، رحمته، عزّته [24] وغيرها من صفات الرحمان، فمثلا في هذه الآيات من سورة النمل محل الدراسة لفظ " الله"يعلم ما تخفون وما تعلنون"، "اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"، "بسم الله الرحمن الرحيم " ، " ألا يسجدوا لله" وسواها من الإشارات القرآنية التي تدل على الوجود الإلاهي الذي نعجز عن تمثّله.

ب- الحيز الروحي

إذا أراد إلى الجمال كان مذهلا رائعا، وخارقا مدهشا يسحر العقول، فيحفز ويهز ويحرك ويثير وحين ننطوي داخل هذه الآيات لندارس فيها جمالية الحيز، يطالعنا وصف دقيق لحالة النبي سليمان عليه السلام وهو غاضب، فبمجرد غياب أحد رعاياه (الهدهد) توعده بالعذاب الشديد، أو الذبح، كذلك وصف التسامح (هذه الصفة الموجودة لدى أنبياء الله ورسله) حينما استثنى بأن يأتيه بعذر، أو بحجة يقينية تبرر غيابه، كذلك في قوله تعالى: " إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ [23] وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ "، نلاحظ هنا كيف أن الهدهد تمكن من الإلمام بكل جوانب النبأ (الملكة، المكان وهو سبأ، عرش الملكة، قومها، وماذا يعبدون) أي إتقانه لفن الوصف، وذلك قصد جذب اهتمام النبي سليمان عليه السلام وليتجنب العقاب.

في قوله تعالى: " قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) " فوصف الكتاب (الرسالة) الذي بعثه النبي سليمان إلى الملكة بلقيس، ووصفه بالكريم، فهو في غاية البلاغة والإيجاز والفصاحة، لأنه حصر المعنى بأيسر عبارة وأحسنها وقد استعمل (إنّ) التوكيدية لما لها من دلالات (فهي تؤثر مباشرة على نفسية المتلقي)، كذلك كتابة " باسم الله الرحمان الرحيم" لها دلالات واضحة على نبوة النبي سليمان عليه السلام.

ج- الحيز الإتصالي

حين جلب الهدهد الخبر كان مصدرا، ولما نقله إلى النبي سليمان اعتمد طريقة جعلت المتلقي – النبي سليمان- يصغي باهتمام لفحوى الرسالة، وهنا اعتمد في سرده للرسالة تقنية الهرم المقلوب، فبدأ بالخبر الأكثر أهمية (أحطت بما لم تحط به) ثم بدأ في التفصيل (جئتك من سبأ بنبأ يقين)، ثم تحول النبي سليمان من متلقي للخبر إلى مرسل له بعدما تكوّن له رد الفعل. وإن الرسالة التي أتى بها الهدهد كانت رسالة لفظية، ذلك لأن الهدهد أتى بها حسب لغة الطيور التي لم يكن يعلمها إلا النبي سليمان، أما من حيث الاتجاه فهو من نوع (الاتصال الصاعد)، ومن حيث درجة التأثير فهو (اتصال شخصي)، لأنه جرى بين الهدهد والنبي سليمان.

أما الرسالة التي بعثها النبي سليمان مع الهدهد إلى الملكة بلقيس فكانت غير لفظية لأنها عبارة عن مكتوب وهي من نوع (الاتصال الرسمي) لأنه كان بين الملك سليمان والملكة بلقيس، فكلاهما شخص مهم بالنسبة لقومه، أما من حيث الاتجاه فهو (اتصال نازل) باعتبار أن النبي سليمان أعلى شأن من بلقيس، هذه الأخيرة التي تشكّل لها رد فعل بعدما تلقت الرسالة، حيث حدث اتصال بينها وبين قومها واستشارتهم في الأمر، فكان اتصال لفظي لأنه كان شفهي، أما من حيث الاتجاه فكان الاتصال (صاعدا ونازلا) لأنه كان هناك تفاعل بين الملكة والرعية، إذا بلقيس تحولت من مرسل بعدما تكوّن لها رد فعل، حيث أرسلت إلى النبي سليمان هدية، وكان اتصالا رسميا صاعدا من ناحية الاتجاه ودرجة الرسمية، وعليه يمكن تلخيص كل ما قيل فيما يلي:

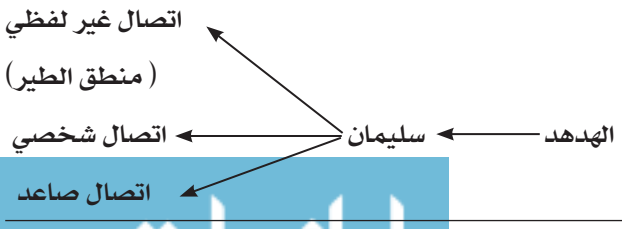

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- استراتيجية التلقي التصاعدية.

- اعتماد الهدهد كمصدر لطريقة بناء الخبر على تقنية الهرم المقلوب

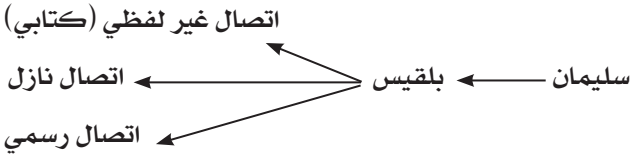

- جدلية المرسل والمتلقي (تبادل الأدوار بين المرسل والمتلقي).

- استراتيجية التلقي التنازلية

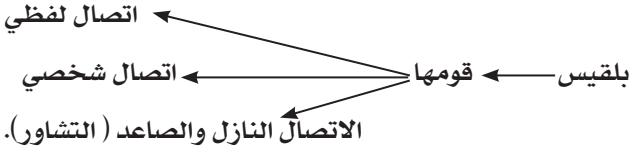

- جدلية المرسل والمتلقي (تبادل الأدوار بين المرسل والمتلقي)

- استراتيجية التلقي التنازلية والتصاعدية معا (التشاور)

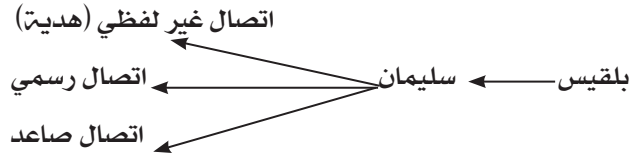

- استراتيجية التلقي التصاعدية

خاتمة

حاولنا من خلال هذه الدراسة تحديد فكرة ذات أهمية كبيرة ألا وهي فكرة الاتصال- التي تعتمد على المقاربة النسقية- داخل نظام الخطاب المقدس، حيث استنتجنا من خلال هذه الدراسة أن لهذا الخطاب نظاما سيميائيا، تتشاكل فيه العلاقات وتتباين، إذ يظهر لنا هذا في الانسجام والتناسب المتواجد بين المرسل والمتلقي (النبي سليمان، طائر الهدهد والملكة بلقيس)، كما تبرز لنا المنظومة الاتصالية التي تتداخل فيها الأطراف وتمارس لغة الهجرة وارتحال المفهوم من خلال تبادل الأدوار بين المرسل والمتلقي وهذا ما يميز فن الخطاب وهو من فنون القول ويستعمل كوسيلة للتأثير في السامعين، والتأثير الإيجابي هو هدف أي مرسل، كما أن التأثير في المستمع ليس ميسّرا للجميع، حتى ولو كانوا متساوين في القدرات والمعلومات، ولهذا يعتبر الخطاب سلاح المرسل، وإحدى الطرق التي تستعمل لتحريك الوعي لدى المتلقي باستعمال الأساليب التي لها وقع على نفسية السامع، والتي تستطيع أن تنقل المعنى المراد نقله بطريقة مؤثرة ومقنعة وهذا هو هدف أي خطاب.

لذا يستحيل دراسة الخطاب المقدس سيميائيا، إلا من خلال تفكيك شفرات الحيز الاتصالي، وإظهار شتى العلاقات المشكلة، نتيجة تعاقب وتوالي الأطراف الاتصالية من مرسل و متلقي ووسيلة ورسالة ورد الفعل وهي أساس حدوث عملية الاتصال وهذا ما لمسناه من خلال الآيات محل الدراسة السيميائية.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

الهوامش

[1] عبد الجليل غزالة. وسيلة الاتصال بين سليمان والنمل والهدهد، مجلة التراث العربي، العدد81، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 232.

[2]- Dominique Wolton. Penser la communication. Ed : Flammarion. Paris. 1997. pp 14-16

[3]- Philippe Breton. L'argumentation dans la communication. 3ed. Edition la découverte. Paris. 1996. p3

[4]- Roland Barthes. Leçon. Édition le seuil. Paris. 1978. p 29.

[5] القرآن الكريم، سورة النمل، الآيات من 20 حتى 35.

[6] الأردن،.ناظم عودة خضر. المعرفية لنظرية التلقي،ط1، دار الشروق 1997، ص 61.

[7] المرجع نفسه، ص 61.

[8] عبد الرحمان جلال الدين السيوطي. الإكليل في استنباط التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان، 1987، ص 264

[9] المرجع نفسه، ص263 .

[10] الكتب علي ابن محمد الشريف الجرجاني. التعريفات، ط1، ج1، دار العلمية، بيروت، 1985، ص41.

[11] ناظم عودة خضر، المرجع السابق، ص ص 163-164

[12] روبرت سي هولب. نظرية التلقي، مقدمة نقدية، ط1، تر: رعد جواد ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1992، ص 103

[13] يوسف أحمد. شعرية الغياب وجمالية الفراغ الباني، مجلة تجليات الحداثة، العدد4، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، 1996، ص125

[14] عبد السلام المسدي. قضية البنيوية، دراسة ونماذج، ط1، دار أمونة، تونس، 1991، ص 45

[15] عبد المالك مرتاض. نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 119.

[16] عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 105

[17] المرجع نفسه، ص 109.

[18] سورة البروج، الآية 01

[19] سورة طه، الآية 55

[20] عبد المالك مرتاض، المرجع السابق ، ص 112

[21] علاء الدين علي بن محمد. تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، تفسير الخازن، (د.ب.ن)، 725ه، ص 403

[22]- إيميل حبشي الأشقر. بلقيس ملكة اليمن، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.س)، ص 54

[23]- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري. الكشاف، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989، ص 197.

[24]- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق ، ص123.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري. 1989، الكشاف، ط3،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيروت، دار الكتاب العربي.

3- إيميل حبشي الأشقر. (د.س)، بلقيس ملكة اليمن، ط1، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

4- جلال الدين السيوطي عبد الرحمان. 1987، الإكليل في استنباط التنزيل، لبنان، دار الكتاب العربي.

5- سي هولب روبرت. 1992، نظرية التلقي، مقدمة نقدية، ط1، تر: رعد جواد، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع.

6- عبد السلام المسدي. 1991، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، ط1، تونس، دار أمويه.

7- عبد المالك مرتاض. 2001، نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، الجزائر، دار هومة.

8- علاء الدين علي بن محمد. 725هـ، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، تفسير الخازن، (د.ب.ن).

9- علي ابن محمد الشريف الجرجاني،1985. التعريفات، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب.

10- غزالة عبد الجليل. 2001، وسيلة الاتصال بين سليمان والنمل والهدهد، مجلة التراث العربي، العدد81، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

11- ناظم عودة خضر. 1997، المعرفية لنظرية التلقي،ط1، الأردن، دار الشروق.

12- يوسف أحمد. 1996، شعرية الغياب وجمالية الفراغ الباني، مجلة تجليات الحداثة، العدد4، قسم اللغة العربية، جامعة وهران.

13- Dominique Wolton.1997. Penser la communication. Paris. Ed : Flammarion.

14- Philippe Breton. 1996.L'argumentation dans la communication. 3ed. Paris. Edition la découverte.

15- Roland Barthes. 1978.Leçon. Paris. Édition le seuil.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف سلطاني فضيلة (2021)، تجليات الإعلام والاتصال في الخطاب القرآني سورة النمل من الآية 20 إلى الآية 35 أنموذجا مقاربة سيميائية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 13، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر. ص ص : 157-167

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com